بلاغة الصوت القرآني

وأثره فى الفكر المقاصدي

"حادثة الإفك من سورة النور أنموذجا"

د. منال السيد محمد مصباح

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

بلاغة الصوت القرآنى وأثره فى الفكر المقاصدى "حادثة الإفك من سورة النور نموذجا"

منال السيد محمد مصباح

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكترونى : manalmesbah@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف إلى بيان البلاغة الصوتية في حروف الآيات القرآنية، منطوقة ومسموعة، وأثر كل صوت بعينه في مكانه دون سواه، ومدى تأثيره في موضعه ، وأنه الأليق لمقصده ، من ثم تُكْشَفُ الحجب عن الدر المكنون في الألفاظ أيضا، ثم عن الأشعة النورانية في الآية بوجه عام.

وقد اتبعت فى هذا البحث المنهج التحليلى التذوق، وذلك من خلال استخراج أظهر اللآلئ البلاغية الواردة فى الآيات القرآنية، مع بيان المعنى المقصود من الآيات إجمالا، ومطابقة بعض الأحكام التجويدية لمقتضى حال المعانى القرآني مع توضيح التفاعل القائم بين اللفظ والمعنى ، ومدى تأثيره على المتلقى من خلال الجرس الصوتى أو غيره.

ومن أبرز نتائج هذا البحث أن البلاغة ليست قاصرة على الألفاظ أو الجمل والمعاني فقط، وإنما البلاغة تشمل الأصوات والحروف أيضا، منطوقة ومسموعة، كما تضمن البحث. وعلى الله قصد السبيل .

الكلمات المفتاحية: البلاغة الصوتية – حادثة الإفك– الصوت القرآنى – الجرس الصوتى

The Rhetoric of Quranic Phonemes and its Effect in Intention of Sharia-Based Thought: Incident of Ifk[1] from Surat Al-Nour as a Model.

Manal Al-Sayed Mohammed Mesbah

Lecturer at the Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University, cairo,Egypt..

Email: manalmesbah@azhar.edu.eg

Abstract:

The present study aims at exploring the phonetic rhetoric in the letters of Quranic verses as being spoken and heard and the effect of each phoneme in its particular place and showing how it best suits its place. This in turn reveals the outstanding beauty of the words and the verse in general. The present study adopts the analytical contemplative approach. It identifies the most significant eloquent instances in the Quranic verses, showing the intended meaning of the verses as a whole, matching some of the tajweed[2] rules with the Quranic meaning, clarifying the interaction between lexical words and meaning, and the effect of this interaction on the receiver through phonetic tone, etc. The study concludes that rhetoric is not confined to lexis, sentences or meaning; rather it includes phonemes and spoken and heard letters as illustrated in the study.

Keywords: Phonetic rhetoric - Incident of Ifk - phonetic tone- Quranic sound.

[1] False allegation against 'Aa'ishah.

[2] A system of rules regulating the correct oral rendering of the Qur'an

المقدمة

أحمدك يامن حجابك النور، وأصلي وأسلم على خير خلقك أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد

فهذا بحث علمي بلاغي يبحث في آلئ البلاغة الصوتية وأثرها في الفكر المقاصدي.

والمقصد من البحث هنا كشف الحجب، وإلقاء الضوء على مطابقة الصوت القرآني للمعنى، وكيف أن للصوت أثره في خدمة الفكر ومقصده المراد، ومن المعنى المراد مطابقته للأثر المرجو والنتيجة المطلوبة من البعد عن المعاصي واتقاء الله عز وجل، وحثه على القيام بالاقتراب أو البعد، هذا مقصد فكري، فمن الفكر المقاصدي الإتيان بألفاظ قادرة على المعنى كاملا، قادرة على الارتفاع بالشعور للمستوى المطلوب، فإذا علت أو جهرت أصوات اللفظ في موضع يستحق العلو أو الجهر ، أو همست في موضع يستحق الهمس، فهي المطابقة لمقتضى الحال صوتيا، ومعلوم أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومن هنا كانت البلاغة الصوتية كلها.

وقد حاولت تطبيق البلاغة الصوتية ودورها في الفكر المقاصدي على أقدس النصوص اللغوية مكانة، وأسماها منزلة، وأعلاها شرفا(القرآن الكريم)، فقطفت من بستانه (حادثة الإفك) نموذجا تطبيقيا.

هذا، وقد وقع البحث بعنوان "بلاغة الصوت القرآني وأثره الفكر المقاصدي، حادثة الإفك من سورة النور أنموذجا" ، والتزمت فيه المنهج التحليلي البلاغي التذوقي، فقمت ببيان المعنى المقصود من كل آية إجمالا من كتب

التفاسير، ثم ذكرت أظهر اللآلئ البلاغية الواردة في الآيات القرآنية، وسببها، وتأثيرها على صاحب الملكة اللغوية، وأتبعت ذلك ببيان لأوضح الأصوات الموجودة في الآيات، وبينت أثرها في المقاصد الفكرية، كما بينت قدر جهدي مدي مطابقتها ومناسبتها للمعنى القرآني المذكور في كتب التفاسير، مع توضيح التفاعل القائم بين اللفظ والمعنى، ومدى تأثيره على المتلقي من خلال الأداء القرآني(أحكام التجويد),

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهرسين وذلك على النحو التالي:

أولا: المقدمة، وفيها أهمية الموضوع ، ومنهج البحث ، والخطة التى سار عليها .

ثانيا: التمهيد: ومهدت فيه لفكرة البحث والمراد منه.

ثالثا: المباحث:

المبحث الأول بعنوان: بيان خيرية الأمر وحكم من فعله.

المبحث الثاني بعنوان: ما كان يجب عليهم فعله.

المبحث الثالث بعنوان: رحمة الله بالمؤمنين قائمة.

المبحث الرابع بعنوان: التنديم والزجر.

المبحث الخامس بعنوان: من يحب إشاعة الفاحشة وجزاؤه.

ثم الخاتمة، وبها أهم النتائج، ثم فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، آملة أن يغفر لي زلاتي، وأن يتجاوز عن خطئي، وعلى الله قصد السبيل.

د.منال السيد محمد مصباح

التمهيد

بلاغة الصوت القرآني، وأثره فى الفكر المقاصدى

أولا : بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[1].

ومما هو معلوم أن علم الأصوات يندرج "تحته ثلاثة علوم تدور في إطاره وتعنى بدراسة الصوت اللغوي وهي: علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات الفيزيائي".[2]

تعريف الفكر المقاصدي

الفكر المقاصدي: هو الفكر المتبصر بالمقاصد، المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها، فالفكر المقاصدي ـ في بعض مستوياته العليا.. يصبح مسلحا بالمقاصد ، ومؤسسا على استحضارها واعتبارها في كل ما يقدره أو يقرره أو يفسره، ليس في مجال الشريعة وحدها، بل في كل المجالات العلمية والعملية"[3].

والمقصود من البحث تسليط الضوء على مطابقة الأصوات القرآنية للمعاني ، ومناسبتها للفكر والمقصد التي أتت من أجله، فكما أن من قواعد الفكر

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (المتوفى : ٧٣٩هـ) ٣١، (تح: د. عبدالقادر حسين)، مكتبة الآداب،ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م ,

[2] من قضايا الأداء القرآني بين المتقدمين والمتأخرين، مخارج الحروف وصفاتها، دراسة في فكر العلامة محمد حسن جبل رحمه الله، تأليف حازم محمد سلام،٤٥، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٤٠هـ،٢٠١٩م.

[3] الفكر المقاصدي قواعده وفوائده لأحمد الريسوني ٣٥،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،١٩٩٩ ,

المقاصدي: أن "كل ما في الشريعة معلل، له مقصوده ومصلحته"[1]، فكذلك لغويا، كل لفظ في موضعه، وكل صوت مناسب لمقصده نطقا وسمعا وطبيعة ووصفا، وكل حركة في محلها، بل كل حكم أو غنة أثناء الأداء يقوم مقامه، يحييك حياة كاملة، يشعر بها من امتلك حسا لغويا، وأفاء الله عليه من فضله.

[1] الفكر المقاصدي قواعده وفوائده ٤٢،٤٣ .

الدراسات السابقة

أشار بعض العلماء للعلاقة بين الأسلوب الأدائي للقرآن والمعنى عند دراستهم للإعجاز البياني في القرآن ، والبعض الآخر قد سلط الضوء على بيان هذه العلاقة ببحث مستقل في مجلة أو ندوة قرآنية ، إلا أنه لم يكن بحثاً استقصائيا لأحكام متوالية بل أتى بنماذج متفرقة لإثبات الظاهرة فقط، وهؤلاء العلماء التالي ذكرهم مجمعون على أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المعنى وبين علم التلاوة ، وأن هذه العلاقة ليست هباء ، وإنما هي مقصودة وتدرك بالتذوق السليم والحس المرهف ، وهي سر من أسرار الإعجاز القرآني ، ووجه من وجوه الإعجاز الصوتي فيه ، وهي من الأدوات المهمة ذات التأثير في نفس القارئ ، أو المتلقي ووجدانه .

(١): مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧ م) في كتابه إعجاز القرآن : أشار إلى ما يسمى بالإعجاز الصوتي أو إعجاز الأداء الصوتي ، وأطلق عليه اسم " إعجاز النظم الموسيقي في القرآن"[١] .

يقول الدكتور محمد شادى متحدثا عن الرافعى : "وقد حاول الرافعى أن يكون حديثه عن الأداء الصوتى أكثر تحديدا لكنه كان ما يزال مطلقا غير مقيد بالشواهد الكاشفة وتنحصر وجوه ذلك الإعجاز فى وجوه [٢]:

(٢) : سيد قطب (ت ١٩٦٦ م) : فى كتابيه " التصوير الفنى فى القرآن " ، " الظلال" ، فقد ربط فيهما بين الوسيلة الأدائية والغاية الدينية

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى (١٣٥٦ هـ) ٢١٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٨ ،١٤٢٥هـ. ٢٠٠٥ م .

[٢] إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز٨٤ .

خضوعا لأهم خصوصية من خصوصيات التصوير القرآنية ، وقد رأى أن فى القرآن تصويرا باللون ، وتصويرا بالحركة ، وتصويرا بالتخيل ، وتصويرا بالنغمة تقوم مقام اللون فى التمثيل ، وكثيرا ما يشترك الوصف الحقيقى والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق فى إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان"[1].

(٣) : الدكتور محمود محمد عمارة : في كتابه " القرآن في حياة المسلم" .

ذكر الدكتور مثالين يشير فيهما إشارة صريحة أن هناك علاقة بين المعنى وعلم التلاوة ؛ وذلك عند حديثه عن إيحاءات الحروف.

(٤) : الدكتور محمد إبراهيم شادي :

أشار الدكتور محمد شادي – حفظه الله – في كتابه " إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز " إشارة صريحة إلى أن هناك ارتباطاً وثيقا بين المعنى وبين الالتزام بأحكام التلاوة والتجويد .

(٥) : الأستاذ الدكتور هادي نهر :

ذكر الدكتور هادي – حفظه الله – أن أحكام التلاوة والتجويد ، وأحكام الوقف والابتداء ، تدخل في تنغيم الجملة العربية وتحدد دلالاتها المرادة . ولكنه لم يذكر مثالاً أو شاهداً قرآنياً يظهر هذا الارتباط الذي بين المعنى وأحكام التلاوة[2] .

[1] إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز١٠٨ ، ١١١ بتصرف.

[2] ذوق التلاوة ببيان علاقة المعنى بإعجاز التلاوة لمحمد الرنتاوي ٢٦ ،ط١ .

(٦): الدكتور أحمد أبو زيد المغربي : في كتابه " التناسب البياني في القرآن ، دراسة في النظم المعنوي والصوتي"

(٧) : الدكتور عبد الرحمن بودرع : في كتابه " منهج السياق في فهم النص " أشار إلى أن للصوت القرآني – إذا ما نطق به صحيحاً بصفاته ومخرجه المناسب – صدى دلالياً يشيع جواً خاصاً من المعاني وحقلاً دلالياً مخصوصاً ، وذكر مثالاً واحداً يثبت محاكاة صفات الحروف لمعنى النص القرآني ، وذلك عند حديثه عن دلالة الفزع والأصوات المناسبة لها"[١] .

(٨) : الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس : في كتابه " لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن " إلى أن هناك ارتباطاً بين روعة النسق وسمو المعنى.

(٩) : الدكتور مصطفى مسلّم : في كتابه " مباحث في إعجاز القرآن " إلى أن لصفات الحروف دوراً طبيعياً مهماً في تصوير المعنى وتشخيصه وإيضاحه على أتم صورة .

(١٠): الدكتور عبد الله محمد الجيوسي : في كتابه " التعبير القرآني والدلالة النفسية " أن أحكام التجويد كالمد ، وصفات الحروف ومخارجها ، والغنة والإدغام ، والوقف والابتداء والتفخيم والترقيق ، تسهم في الإيقاع القرآني الذي يجعل القارئ أو المتلقي يقف على تلك المعاني والآثار النفسية التي تحركها أحكام التلاوة وقواعد التجويد .

---

[١] منهج السياق في فهم النص لعبد الرحمن بودرع ٨٩ ، ط١ ، وزارة الشئون الإسلامية ، قطر ، ٢٠٠٦ م .

(١١) : الدكتور نجيب علي عبد الله السودي :

قدّم الدكتور بحثاً قيما في مؤتمر كلية الشريعة السابع المنعقد بجامعة الزرقاء الأهلية الأردنية في الفترة (٢٣ – ٢٥ آب) ٢٠٠٥ م ، وكان عنوان البحث "الإعجاز البياني في الصوت القرآني " بيّن فيه العلاقة بين المعنى وعلم التجويد.

(١٢) : الدكتور عبد السميع خميس :

قام الدكتور عبد السميع بإعداد بحث بمجلة جامعة الأقصى سنة ٢٠٠٤ م ، وكان عنوان بحثه (دور أحكام التلاوة في إبراز معاني القرآن الكريم)..

(١٣) : المهندس محمد شملول : في كتابه " إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة " ذكر أن هناك ارتباطاً بين المعنى وأحكام التلاوة وهو ما يعبر عنه بإعجاز التلاوة.

(١٤) : محمد حسين الرنتاوى :

وقد ذكر الباحث فى كتابه " ذوق الحلاوة ببيان علاقة المعنى بإعجاز التلاوة" شواهد قرآنية تثبت وتبين مدى علاقة الأحكام التجويدية والترتيل بالمعانى القرآنية ، وأفرد لكل حكم نماذج خاصة متفرقة تدلل عليه .

وما زالت البحوث جارية فى كتاب الله الذى لا تنقضى عجائبه ، ولا تنفد علومه ، فهو المعجزة الباقية ، والبرهان الساطع ، والنور المبين ، كتاب الله العظيم ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾[١]

[١] فصلت ٤٢ .

بلاغة الصوت القرآني وأثره في الفكر المقاصدي

"حادثة الإفك من سورة النور أنموذجا"

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) ﴾

المقصد من السورة

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير في برهانه : لما قال تعالى { والذين هم لفروجهم حافظون }[١] ، ثم قال تعالى { فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون }[٢] ، استدعى الكلام بيان حكم العادي في ذلك ، ولم يبين فيها فأوضحه في سورة النور فقال تعالى { الزانية والزاني } – الآية ، ثم أتبع ذلك بحكم اللعان والقذف وأتى بعد ذلك الإخبار بقصة الإفك تحذيراً للمؤمنين من زلل الألسنة رجماً بالغيب، { وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم } وأتبع ذلك بعد بوعيد محبّي شياع الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات }[٣] الآيات ، ثم بالتحذير من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع ، ثم بالأمر بغض الأبصار للرجال والنساء ونهى النساء عن إبداء الزينة إلا لمن سمى الله سبحانه في الآية، وتكررت هذه المقاصد في هذه السورة إلى ذكر حكم العورات الثلاث ، ودخول بيوت الأقارب وذوي الأرحام ، وكل هذا مما تبرأ ذمة المؤمن بالتزام ما أمر الله فيه من ذلك والوقوف عندما حده تعالى من

---

[١] المؤمنون : ٥

[٢] المؤمنون : ٧

[٣] النور : ٢٣

أن يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى{ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون }[1]، وما تخلل الآي المذكورات ونسق عليها مما ليس من الحكم المذكور فلاستجرار الآي إياه واستدعائه ، ومظنة استيفاء ذلك وبيان ارتباطه التفسير "[2] .

المقصد من الآيات

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ, فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:" " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ " وَذَلِكَ أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقَ غَازِيًا, وَانْطُلِقَ مَعَهُ بِعَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ زَوْجِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَمَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ رَفِيقٌ, يُقَالُ لَهُ: صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ, وَكَانَ إِذَا سَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلا مَكَثَ صَفْوَانُ فِي مَكَانِهِ حَتَّى يُصْبِحَ, فَإِنْ سَقَطَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِهِمْ حَمَلَهُ إِلَى الْمُعَسْكَرِ, فَعَرَفَهُ, فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ دَفَعَهُ إِلَيْهِ, وَإِنَّ عَائِشَةَ لَمَّا نُودِيَ بِالرَّحِيلِ ذَاتَ لَيْلَةٍ رَكِبَتِ الرَّحْلَ, فَدَخَلَتْ هَوْدَجَهَا, ثُمَّ ذَكَرَتْ حُلِيًّا لَهَا كَانَتْ نَسِيَتْهُ فِي الْمَنْزِلِ, فَنَزَلَتْ لِتَأْخُذَهُ, وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا صَاحِبُ الْبَعِيرِ, فَانْبَعَثَ, فَسَارَ مَعَ الْمُعَسْكَرِ, فَلَمَّا وَجَدَتْ عَائِشَةُ حُلِيَّهَا فَإِذَا الْبَعِيرُ قَدْ ذَهَبَ, فَأَخَذَتْ تَمْشِي عَلَى إِثْرِ الْمُعَسْكَرِ, وَهِيَ تَبْكِي, وَأَصْبَحَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ فِي الْمَنْزِلِ, ثُمَّ سَارَ عَلَى إِثْرِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَإِذَا هُوَ بِعَائِشَةَ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا وَهِيَ تَبْكِي, فَقَالَ صَفْوَانُ: مَنْ هَذِهِ؟ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ, فَحَمَلَهَا عَلَى بَعِيرِهِ, وَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ, فَفَقَدُوا عَائِشَةَ وَلَمْ يَجِدُوهَا, وَمَكَثُوا

---

[1] المؤمنون : ٧

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي٥/ ٤٣٧

مَا شَاءَ اللَّهُ, إِذْ جَاءَ صَفْوَانُ قَدْ حَمَلَهَا عَلَى بَعِيرِهِ, فَقَذَفَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ الْمُنَافِقُ, وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ, وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ, وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ الأَسَدِيَّةُ, فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ الْمُنَافِقُ: مَا بَرِئَتْ عَائِشَةُ مِنْ صَفْوَانَ وَمَا بَرِئَ صَفْوَانُ مِنْهَا, وَخَاضَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا, وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَذَا, وَعَرَّضَ بِالْقَوْمِ, وَبَعْضُهُمْ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ, فَنَزَلَتْ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ آيَةً مُتَوَالِيَاتٌ بِتَكْذِيبِ مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ وَبَرَاءَتِهَا, وَيُؤَدِّبُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ, فَنَزَلَتْ: " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ "[1] ".

[1] تفسير ابن أبي حاتم ،لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ)١٠/٥٢ .

المبحث الأول

من بلاغة المحاكاة بهيئة الصوت في بيان خيرية الأمر وحكم من فعله

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾

معنى الآية الكريمة

"(أفك) الإفْك الكذب والإثم، وأَفَكَ الناسَ كذبهم وحدَّثهم بالباطل، "[1]، وقيل :"الإفك : اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ الناس، وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء ،وقيل: "هو أسوأ الكذب"[2] ومنه سمي أهل سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم قرى قوم لوط أصحاب المؤتفكة لأن قراهم ائتفكت ، أي قُلبت وخسف بها فصار أعلاها أسفلها

[1] لسان العرب، مادة (أفك)

[2] الجدول الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت : ١٣٧٦هـ)١٨/٢٣٤ ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق، ط٤ ، ١٤١٨ هـ ,

فكان الإخبار عن الشيء بخلاف حالته الواقعية قلباً له عن حقيقته فسمي إفكاً"[1] .

والإفك في الآية : حديث اختلقه المنافقون، وراج عند المنافقين ونفر من سذج المسلمين، إما لمجرد اتباع النعيق وإما لإحداث الفتنة بين المسلمين"[2] .

والعصبة العُصْبةُ و العِصابةُ : جماعةٌ ما بين العَشَرة إلى الأَربعين، وفي الحديث : العَصَبِيُّ مَنْ يُعِين قومَه على الظُّلْم[3] .

وقوله : { لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } لإزالة ما حصل في نفوس المؤمنين من الأسف من اجتراء عصبة على هذا البهتان الذي اشتملت عليه القصة، فضمير { تحسبوه } عائد إلى الإفك ،والشر المحسوب : أنه أحدث في نفر معصية الكذب والقذف والمؤمنون يودون أن تكون جماعتهم خالصة من النقائص (فإنهم أهل المدينة الفاضلة) . فلما حدث فيهم هذا الاضطراب حسبوه شراً نزل بهم ، ومعنى نفي أن يكون ذلك شراً لهم لأنه يضيرهم بأكثر من ذلك الأسف الزائل وهو دون الشر لأنه آيل إلى توبة المؤمنين منهم فيتمحض إثمه للمنافقين وهم جماعة أخرى لا يضر ضلالهم المسلمين[4] .

---

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور ٩/٤٤٣ .

[2] السابق٩/٤٤٣ .

[3] اللسان، مادة(عصب)

[4] التحرير والتنوير ١٠/٤٤٧٤ .

والكبر: هو أشد الشيء ومعظمه[1].

ومن البلاغة في الآية الكريمة

وقعت "إن" في بداية الآية الكريمة لتؤكد توثيق العلاقة بينهما، لأنها إذا دخلت على الجملة جعلتها" ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتحد به. حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر"[2].

و { جاءو بالإفك } معناه : قصدوا واهتموا، وأصله : أن الذي يخبر بخبر غريب يقال له : جاء بخبر كذا ، لأن شأن الأخبار الغريبة أن تكون مع الوافدين من أسفار أو المبتعدين عن الحي، شبه الخبر (الإفك) بقدوم المسافر أو الوافد على سبيل الاستعارة المكنية، وجعل المجيء ترشيحاً، وعدي بباء المصاحبة تكميلاً للترشح.[3].

وذكر { عصبة } منكرة تحقيرا لهم ولقولهم ، أي لا يعبأ بقولهم في جانب تزكية جميع الأمة لمن رموهما بالإفك ، ووصف العصبة بكونهم { منكم } يدل على أنهم من المسلمين ، وفي ذلك تعريض بهم بأنهم حادوا عن خلق الإسلام وتسببوا في أذى غيرهم من المسلمين

---

[1] اللسان (كبر) .

[2] دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى : ٤٧١هـ) ،٣١٦، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ٢٠٠٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[3] التحرير والتنوير ٩/ ٤٣٤ .

البلاغة الصوتية ومطابقتها للمقاصد الفكرية

يقتضي الموقف بيانا بحال من كانوا فيه، ومن قاموا به، فنلحظ ابتداء الآية الكريمة ب﴿ إِنَّ ﴾ المؤكدة لما بعدها،والمكونة من صوتي الهمزة والنون، وهما حرفان مجهوران، لأن الأمر كما تفشى وذاع بالكذب والبهتان جهرا فالمقصد يقتضي الرد بالحق جهرا، فجاءت الآيات مبدوءة بالأصوات المجهورة كما يقتضي المقام، كما أن الطريقة الأدائية ل"إن" أثناء التلاوة تقتضي الوقوف عليها لفترة زمنية تتناسب مع الفترة الزمنية التي ذاع فيها الإفك وانتشر.

وفى " جاءوا بالإفك " المد لعظم ما جاءوا به وثقله وشدته ، وقال " جاءوا "بالإفك وكأنهم حملوه وحملوا وزره، ولم يقل " جاءوا الإفك " لأنهم هم من أحدثوه وفعلوه وأشاعوه ولم يأتوه حاصلا .

وقد أتت الآيات بلفظ (جاءؤا) دون (أتوا) وبينها فرق واسع ، فلفظ (جاءوا) يحمل فى طياته كثيرا من المعانى الدالة على الثقل والعناء والإرهاق والتعب والمشقة ، سواء عند النطق أو السماع أو طبيعة الحروف المكونة للكلمة، بعكس (أتى) تماما،

أما من ناحية النطق فالجيم عند خروجها تحرك الوترين، وتتبعها الهمزة التى تخرج بانطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة ثم يتفرج الهواء فجاه محدثا صوتيا انفجاريا[1] .

[1] نقلا من صوتيات اللغة العربية د/ البسيوني عبدالعظيم البسيوني ٤٦، ط٢٠٠٣م ٢٠٠٤م.

هذا كله عند النطق فقط ، أما عن السماع بطريقة التلاوة القرانية فسنجد أن لفظ جاءوا أتى ممدودا مدا واجبا متصلا ، والمد الواجب المتصل له دلالية الواضحة ، "وقد كان المد في الآيات القرآنية عندما تتلى على العرب بمثابة رموز وإشارات لا عهد لهم بها، ليزداد التفاتهم، وتتنبه أذهانهم ونفوسهم"[1]، فيتمكن المعنى من قلوبهم ، وتعلق الآيات بعقولهم تدبرا وتفكرا.

لذا فقد كان للمد الواجب المتصل في (جاءوا) دلالته، وأنه لم يأت هباء، فهو يمثل مدى العناء الذي يحدث بالمجيء من مسافة بعيدة، أو بها مشقة وصعوبة وجهد على النفس

وفي لفظ "عصبة " دلالة على التعصب ولم يقل فرقة أو طائفة، لأن " عصبة " لفظ شديد المطابقة لمقتضى الحال ، فحروفها كلها مجهورة إلا حرف مهموس ، وكلها رخوة إلا حرف شديد ، وكلها مستفلة إلا حرف مستعل ، وكلها منفتحة إلا حرف مطبق ، وكلها مصمتة إلا حرف زلقى ، فسبحان من هذا كلامه ، وله دلالته فجميعها مجهورة إلا حرف مهموس لأن الغالب الأعم أصبح يتحدث فى الأمر فذاع وانتشر وحتى من امتنع عن الحديث فى هذا الإفك أسر فى نفسه شيئا وهمس به لنفسه حتى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ قال لها " إن تبت تاب الله عليك "، وكلها رخوة إلا حرف شديد فجميع من اشتركوا فى الإفك ما كانوا أشداء ولكن سمحوا للأمر أن يخاض فيه ، وقليل من امتنع من الخوض ، وكلها مستفلة إلا حرف مستعل فمن خاض فى هذا الأمر فقد انخفض بنفسه

[1] الإتقان في علوم القرآن

وبإيمانه وهم كثير إلا القليل ، وكلها منفتحة إلا حرف مطبق فقد انفتح الأمر واتسع ولم يغلق على نفسه فى هذا الأمر إلا من رحم الله .. وهكذا .

وفى حركاتها دلالات أيضا فضم العين " عصبة " دليل ضم أفرادها بعضهم إلى بعض واتحادهم وترابطهم ، وسكون الصاد توافق سكونهم إلى الأمر وتوافقهم عليه ، وفتح الباء فتح الأمر وانتشاره ... وهكذا .

وفي لفظ "اكتسب" في قوله تعالى " لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ "، دلالة ظاهرة، ومطابقة جلية لمقتضى الحال، حتى في حركاتها وسكناتها، ففي سكون الكاف مثلا وقفة تمنع من خروج النفس الذي به الحياة كما يمنع الاثم صاحبه دخول جنة بها الحياة، كما حوت الكلمة حروفا أغلبها مهموس، وختمت بحرف مجهور، وقد ناسب ذلك المعنى فقد كانت حادثة الإفك في أولها مهموسة ثم جهر بها وذاعت، كما يلحظ في مخارج الكلمة أيضا حيث بدأت بالكاف ثم التاء ثم السين حتى انتهت بالباء خروجا من الشفتين، تلك مراحل تدريجية في الخروج ملائمة للمراحل التدريجية التي مرت بها الحادثة.

وهكذا نلحظ توازنا وتعادلا وتناسبا عجيبا في كل جهة من جهات الآية الواحدة ، "لا يمكن إلا أن يكون بترتيب العليم الخبير"[1].

أما في لفظ " كبره " فقد بدأ اللفظ بالكاف الشديدة التى لا يمر معها نفس حتى تناسب الأمر وشدته ، وقد أتت مكسورة حتى توافق كسرة النفوس

[1] إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز ،د. محمد إبراهيم شادي ٨٩، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة.

الطاهرة التى ارتابت فيها القلوب والأفئدة ، وقد توسط اللفظ حرف (الباء) الشديدة أيضا توافقا مع توالى الشدة ، ومن شدة التناسب أن الباء عند خروجها ينحط اللسان فلا ترتفع له قامة ، ويحبس النفس فلا يقدر على الخروج لشدتها ، وتهتز لها الأوتار الصوتية جهرا ، إذا كان هذا حالها فى خروجها المعتاد ، فما بالك إذا لحقها اضطراب فقلقل ساكنها ، إنه وعيد شديد لا يدرى كنهه ، ويختم اللفظ بالراء المفخمة التى تحمل فى طياتها هى الأخرى معنى التكرير ، لتناسب تكرار الإفك على الألسنة وانتشاره وتنقله بينهم ، وقد ذاع أمره من تناقله وتكراره ، فناسب اللفظ المعنى ، وطابق المراد ، مما أكد جلل المصاب ، وعظم وقعه وسوء عاقبته،

المبحث الثاني

من بلاغة العدول الصوتي في ما كان يجب عليهم فعله

قال تعالى

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) ﴾

المعنى عند المفسرين

{ لَوْلاَ } هلا { إِذْ سَمِعْتُمُوهُ } أي الإفك { ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بِأَنفُسِهِمْ } بالذين منهم، فالمؤمنون كنفس واحدة، وهو كقوله { وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ }[1] ، {خَيْرًا } عفافاً وصلاحاً، وذلك نحو ما يروى أن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك، لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها، فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة؟ وقال عثمان: إن الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل ، فلما لم يمكن أحداً من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحداً من تلويث عرض زوجتك؟ وكذا قال علي رضي الله عنه : إن جبريل أخبرك أن على نعليك قذراً وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا

[1] الحجرات : جزء الآية ١١.

يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش؟ ، وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته : ألا ترين ما يقال؟ فقالت : لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوءاً؟ فقال : لا، قالت : ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك[1] .

وفي الآية الثانية: { لَوْلا } أي: هلا { جَاءُوا عَلَيْهِ } أي: على ما قالوه { بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ } يشهدون على صحة ما جاءوا به { فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ } أي: في حكم الله كَذَبَةٌ فاجرون[2]، لأنهم "اختلقوه من سوء ظنونهم، فلم يستندوا إلى مشاهدة ما أخبروا به، ولا إلى شهادة من شاهدوه، ممن يقبل مثلهم فكان خبرهم إفكاً، وهذا مستند إلى الحكم المتقرر من قبل في أول السورة بقوله تعالى : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة }[3] ، فقد علمت أن أول سورة النور نزل أواخر سنة اثنتين أو أوائل سنة ثلاث قبل استشهاد مرثد بن أبي مرثد"[4] .

---

[1] مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي ٤٠٤/٢.

[2] تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ – ٧٧٤ هـ]٢٧/٦،(تح: سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

[3] النور، من الآية ٤.

[4] التحرير والتنوير ٤٤٧/٩ .

ومن البلاغة

استهلال الآية الكريمة ب(لولا) حرف توبيخ وتحضيض وتنديم[1] على ما حدث لئلا يعودوا لمثلة ثانية، وفي التعبير بالماضي (سمعتموه) دلالة الحدوث واكتماله، وأعقبه دون فاصل بفعل آخر(ظن) يحمل في طياته معنى المضي واكتمال الحدوث، مما يوحي بسرعة ما كان يجب فعله من اكتمال اليقين بالخير في إخوانهم عقب السماع مباشرة، لأن "الظن شك ويقين، إلاَّ أَنه ليس بيقينِ عِيانٍ، إنما هو يقينُ تَدَبُّرٍ، فأَما يقين العِيَانِ فلا يقال فيه إلاَّ علم"[2]، وقد وصفهم الله عز وجل ب(الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ) دون (المسلمون والمسلمات) لدلالة استقرار الإيمان في قلوبهم، فهو مدح لهم، مع شدة توبيخ وتنديم، أما وقد اكتمل إيمانكم فلا يصدق أحدكم في أخيه ما يؤذيه أو يساء بسببه، ومما زاد في التوبيخ والتنديم (بأنفسهم) كلمة فاقت كل معاني الوحدة والتماسك والتآلف والمودة والتآخي والحب و..و,,,إلخ ، وليس أقرب للمرء من نفسه، والتنكير في (خيرا) للإطلاق والعموم والشمول، فهو ظن خير مطلق في كل الأمور دون قيد.

في قوله تعالى «ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً» فهذا التعبير ينطوي على أبعد النكت مرمى، وأكثرها حفولا بالمعاني السامية، والسر في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه، وتوبيخه على أن يذكره بسوء،

---

[1] الجدول في إعراب القرآن ٢٣٣ .

[2] لسان العرب(ظنن) ,

وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة، ولا شيء أشنع من ذلك"[1].

وفي الآية الكريمة "عدول عن ضمير الخطاب في إسناد فعل الظن إلى المؤمنين إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر، فلم يقل سبحانه «ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم» ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات"[2]. فإن "الإلتفات ضرب من الاهتمام بالخبر ، وليُصرَّح بلفظ الإيمان ، دلالة على أن الاشتراك في الإيمان يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه وأخته في الدين ولا مؤمنة على أخيها وأختها في الدين قول عائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في مؤمن أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك، ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحية المقام، فإذا نسب سوءٌ إلى من عُرف بالخير ظن أن ذلك إفك وبهتان حتى يتضح البرهان، وفيه تعريض بأن ظن السوء الذي وقع هو من خصال النفاق التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة، فكفى بذلك تشنيعاً له ، فهذا توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قول ينادي حاله ببهتانه وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره[3] .

وفى قوله تعالى﴿ وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ جملة تؤدي معنى التوكيد على ما كان يجب قوله، فالظن بالخير وجب فعله، وهنا ما وجب قوله ﴿ وَقَالُوا هَذَا

---

[1] الجدول ٢٣٥ .

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي ٤٠٤/٢ ، بتصرف

[3] التحرير والتنوير ٩ / ٤٤٦ .

﴿ إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ توكيدا لعدم تصديق الفاحشة في أمهم (أم المؤمنين) . رضي الله عنها . ،والحق أن الآية الكريمة تعلم المؤمنين عرض الأمر على النفس، وصنع حوار قلبي داخلي قبل الخوض في أي أمر، توكيدات متعددة، ففي الإشارة ﴿ هَذَا ﴾ توكيد، وفي التنكير ﴿ إِفْكٌ ﴾ توكيد بشمول الكذب، وفي ﴿ مُبِينٌ ﴾ توكيد بظهوره ووضوحه، وكأنه ظاهر مجسد واضح يشار إليه بالبنان.

وفي الآية الكريمة دعوة إلى عرض الأمور على القلب والنفس كما أرشدنا النبي الكريم "صلى الله عليه وسلم":" اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ "[1]

وفي الآية الثانية ﴿ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) ﴾

وفي تكرير ﴿ لَوْلَا ﴾ زيادة تنديم وتنبيه، واستئناف للذم على ما كان يجب عليهم فعله، وقد عبر ب ﴿ جَاءُوا ﴾ دون (أتوا) لما تحمله من معنى المشقة والتعب كما سبق ذكره، إذ كان يجب عليه عدم التصديق، ومحاربة الظن السيئ، والبحث والتنقيب والتفتيش عن الحقيقة، وعدم الركون إلى المغرضين، فإما أن يستشهدوا بأربعة شهداء أو يقام عليهم الحد، وهذا ما

[1] المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : ٢٤١هـ) ٣٦ / ٤٤٣

يقتضيه لفظ (جاءوا)، أما (أتوا) فلم يعبر به لأنه يحمل معنى الراحة والركون إليها، وهو ما فعلوه، فقد ركنوا إليها، ولم يبحثوا أو يفتشوا عن براءة أمهم، لذا عبر سبحانه بقوله﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ ﴾ فعبر هنا ب(يأتوا) لأنه ما صدر منهم من عدم بحث وتنقيب، فلم يجيئوا بالأدلة والبراهين، بل أتوا القول وتلقوه وأذاعوه، كما عبر ب(عليه) للاستعلاء، فهم لم يستعلوا على الإفك، وإنما تركوه يعلوا وينتشر.

وفي قوله﴿ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ صيغة الحصر هنا للمبالغة، كأن كذبهم لقوته وشناعته لا يعد غيرهم من الكاذبين كاذباً، فكأنهم انحصرت فيهم ماهية الموصوفين بالكذب[1]، واسم الإشارة هنا لزيادة تحقيرهم وتمييزهم دون غيرهم بالكذب، ليحذر الناس أمثالهم ، والتقييد بقوله : {عند الله } لزيادة توكيد كذبهم وتحقيقه ، فما عند الله لا يكون إلا حقا، وفي تقديمها بيان لعظم مكانة العظيم سبحانه، وعلو منزلة ما عنده,

ومن البلاغة الصوتية الأدائية في الآيتين

ورود المد الجائز المنفصل في قوله تعالى(لولا إذ سمعتموه) يثبت ويؤكد زيادة التوبيخ والتنديم، لأنه أعطى مساحة زمنية كافية للتدبر والتفكر وعدم الانسياق خلف المغرضين، واتباع ما فعلوا، كما أن الغنة الواردة في (ظن) لها إيحاء بالظن الذي دار في خلدهم ، ومسافتها الزمنية أثناء النطق تطابق الوقت الذي يصاحب الظن حتى يستقر في القلب والعقل.

وبين (خيرا وقالوا) إدغام بغنة، ومن معانيه الامتزاج والإدخال، وقد طابق المقصد هنا فالخير هنا يعود لفعل الظن، والإدغام بين خيرية الفعل والقول

[1] التحرير والتنوير ٩/٤٤٧ .

، وكأن الله يطلب منهم طيب القول والفعل ، وأن يمتزج بداخلهم خيرية الفعل والقول، ويتداخلا ليعملا على تقويم النفس وإصلاحها.

كما أن للإدغام بغنة أثره أيضا في قوله تعالى(إفك مبين)، وكأن الإفك كان يمتزج بالظهور والإبانة ويصاحبه الوضوح، وكأنه لشدة وضوحه صار يبين ما حوله، هذا ما قام به الإدغام، أما عن الغنة المصاحبة له، فهي تمثل معنى التوكيد بوضوح الإفك، كما تمثل في زمنها المسافة الزمنية التى استغرقها هذا الأمر، فقد طابق الأداه المقصد، والله أعلم بمراده .

وقد أعطى المد في (جاءوا) وهو مد واجب متصل، أعطى معني ما كان يجب عليهم من بحث وتنقيب وتفتيش وسعي حتى تبرئة السيدة عائشة . رضي الله عنها ، وقد سبق الحديث عنها ، وللمد الواجب المتصل في (شهداء) أيضا زيادة معنى، فبالتدبر يتبين فيها التريث في البحث عن الحق، وعظم الشهادة ومكانتها، فالمد يوحي بعظم ما جاء به، فزيادة الصوت دليل على زيادة المعنى وتوكيده، وقد كررها (بالشهداء) دون الضمير بما تحمله من مسافة صوتية طويلة بسبب المد لتأكيد بشاعة رمي المحصنات المؤمنات بدون شهود، فإما أن يأتي بالشهداء أو يقام عليه الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة.

المبحث الثالث

من بلاغة الوصف والحوار ودورها في المقصد الفكري

قال تعالى:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾

المعنى عند المفسرين

قال ابن عاشور: "الفضل في الدنيا يتعين أنه إسقاط عقوبة الحد عنهم بعفو عائشة وصفوان عنهم ، وفي الآخرة إسقاط العقاب عنهم بالتوبة . والخطاب للمؤمنين دون رأس المنافقين، وهذه الآية تؤيد ما عليه الأكثر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحد حد القذف أحداً من العصبة الذين تكلموا في الإفك، وهو الأصح من الروايات، إما لعفو عائشة وصفوان ، وإما لأن كلامهم في الإفك كان تخافتاً وسراراً ولم يجهروا به، ولكنهم أشاعوه في أوساطهم ومجالسهم، وهذا الذي يشعر به حديث عائشة في الإفك في «صحيح البخاري» وكيف سمعت الخبر من أم مسطح وقولها: أَوَ قَد تحدث بهذا وبلغ النبي وأبويّ؟ وقيل: حد حسان ومسطحاً وحمنة، قاله

ابن إسحاق وجماعة، وأما عبد الله بن أبيّ فقال فريق: إنه لم يحد حد القذف تأليفاً لقلبه للإيمان . وعن ابن عباس أن أبيّاً جلد حد القذف أيضاً[1].

وفي الآية الثانية

(إذ تلقونه) (ولق) الوَلْقُ أَخف الطعن، والوَلْق أيضاً إسراعك بالشيء في أَثر الشيء كعَدْوٍ في أَثر عَدْوٍ وكلام في أَثر كلام ،الوَلْق والأَلْق الاستمرار في الكذب، ووَلَقَ الكلام دَبَّره"[2]، وأصل { تلقونه } تتلقونه بتاءين حذفت إحداهما .

والهيّن : مشتق من الهوان ، وهوان الشيء عدم توقيره والامبالاة بشأنه، يقال : هان على فلان كذا ، أي لم يعد ذلك أمراً مهماً ، والمعنى : شيئاً هيّناً . وإنما حسبوه هيّناً مع أن الحد ثابت قبل نزول الآية بحسب ظاهر ترتيب الآي في قوله تعالى : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم }[3] ، لجواز أنه لم تحدث قضية قذف فيما بين نزول تلك الآية ونزول هذه الآية ، أو حدثت قضية عويمر العجلاني ولم يعلم بها أصحاب الإفك ، أو حسبوه هيّناً لغفلتهم عما تقدم من حكم الحد إذ كان العهد به حديثاً . وفيه من أدب الشريعة أن احترام القوانين الشرعية يجب أن يكون سواء في الغيبة والحضرة والسرِ والعلانية[4] .

---

[1] التحرير والتنوير ٩/ ٤٤٨ .

[2] اللسان، مادة (ولق) .

[3] النور ٤.

[4] التحرير والتنوير ٩/ ٤٤٨ .

ومن البلاغة في الآيتين

أنـه تبـارك وتعـالى عبـر ب(فضـل) ولـم يعبـر ب(النعمـة) أو غيرهـا، لأن "التفضُّـل بمعنـى الإفْضـال والتطـوُّل"[1]، فكلمـة (فضـل) فيهـا معنـى النعمـة والزيادة، فزيادة فضل الله مستمرة إليهم،

وفي قولـه (أفضتم فيـه) استعار الإفاضـة فـي القول من إفاضـة المـاء فـي الإناء ، أي كثرته فيه، كما أكثروا القول فيـه ، كمـا وردت الاستعارة أيضا في قوله تعالى {إذ تلقونـه بألسنتكم } استعارة مكنيـة تخييليـة، حيث شبه الألسن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشيء، بجامع التلقي فى كل، وحـذف المشـبه بـه (الأيـدي) ، وأتـى بشـئ مـن لوازمـه(التلقي)على سـبيل الاستعارة التخييلية، "وإنمـا جعلت الألسن آلـة للتلقي مـع أن تلقي الأخبـار بالأسماع، لأنـه لمـا كـان هذا التلقي غايتـه التحدث بالخبر جعلت الألسن مكان الأسماع مجازاً بعلاقة الأيلولة، وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبـر فهـم حـين يتلقونـه يبـادرون بالإخبـار بـه بـلا تـرو ولا تريـث، وهـذا تعريض بالتوبيخ أيضاً"[2] .

وأصل { تلقونـه } تتلقونه بتـاءين، فعدل بحذف إحدى التـاءين هنـا وبقيت الأخرى للدلالة على سرعة تلقي الخبر وتفشيه بينهم بالباطل , وهو مما لا يرضي الله قولا وفعلا.

وأما قولـه : { وتقولون بأفواهكم } فوجه ذكر { بأفواهكم } مـع أن القول لا يكون بغير الأفواه أراد بها المبالغة في التوبيخ، وأنهم يقولون بألسنتهم مـا

---

[1] اللسان، مادة(فضل).

[2] التحرير والتنوير ٩/ ٤٤٨ .

لم يروه، وقيل "أريد التمهيد لقوله : { ما ليس لكم به علم }، أي هو قول غير موافق لما في العلم، ولكنه عن مجرد تصور، لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول، فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه"[1]

[1] التحرير والتنوير ٩/ ٤٤٨ .

المبحث الرابع

من بلاغة آيات التنديم والزجر

قال تعالى

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) ﴾

المعنى عند المفسرين

هذا عتاب لجميع المؤمنين أي : هلا إذا سمعتم حديث الإفك قلتم تكذيباً للخائضين فيه المفترين له ما ينبغي لنا، ولا يمكننا أن نتكلم بهذا الحديث ، ولا يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه ، ومعنى قوله { سبحانك هذا بهتان عَظِيمٌ } التعجب من أولئك الذين جاءوا بالإفك، وأصله التنزيه لله سبحانه، ثم كثر حتى استعمل في كلّ متعجب منه . والبهتان هو : أن يقال في الإنسان ما ليس فيه أي : هذا كذب عظيم لكونه قيل في أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، وصدوره مستحيل شرعاً من مثلها، ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الإفك فقال : { يَعِظُكُمُ الله أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً } أي : ينصحكم الله، أو يحرّم عليكم، أو ينهاكم كراهة أن تعودوا ، أو من أن تعودوا ، أو في أن تعودوا لمثل هذا القذف مدّة حياتكم { إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } فإن الإيمان يقتضي عدم الوقوع في مثله ما دمتم ، وفيه تهييج عظيم وتقريع بالغ { وَيُبَيّنُ الله لَكُمُ الآيات } في الأمر والنهي لتعملوا بذلك ،

وتتأدبوا بآداب الله ، وتنزجروا عن الوقوع في محارمه { والله عَلِيمٌ } بما تبدونه وتخفونه { حَكِيمٌ } في تدبيراته لخلقه[1] .

ومن البلاغة في الآيات

أسلوب التقديم والتأخير ، حيث قدم الظرف في قوله تعالى «وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ» ، وفي هذا التقديم إيحاء بسرعة ما كان يجب فعله عند سماعهم لهذا الإفك، من تركه وعدم الانسياق فيه، وقولهم ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾.

وفي التعجب بقوله تعالى {سُبْحانَكَ} دلالة على عظم الأمر وشدته، فالبهتان هنا في حق رمز من رموز الإسلام، إنها أم المؤمنين، وزوجة النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ , وفي تنكير (بهتان) تأكيد لتعظيمة وتفخيمه.

ومن البلاغة الصوتية الأدائية

المد الجائز المنفصل فى (ولولا إذ) ودوره في تثبيت المعنى وتوكيده كما سبق، وفي قوله تعالى(قلتم ما يكون) إدغام مثلين، كان يجب أن يمتزج القول بنفي الشائعة بنفوسكم ، ويستقر في قلوبكم كما استقر هذا الإدغام واستغرق وقتا، فقد طابق المقصد، ووافق المعنى,

[1] فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : ١٢٥٠هـ ، ١٩٦/٥ .

ومد آخر جائز منفصل (لنا أن) لزيادة المعنى وتوكيده، ثم إدغام آخر بغنة(أن نتكلم) ليجدد توكيد ما كان يجب من نكران هذا الإفك ، وعدم الكلام فيه ، أو أن يخالط نفوسهم منه شيئ.

وفي لفظ "سبحانك" : سبحان فى اللغة : تنزيه الله عز وجل عن السوء .

السين مهموسة – رخوة – مستفلة – منفتح

الباء مجهورة–شديدة– مستفلة – منفتح

الحاء مهموسة – رخوة – مستفلة – منفتح

النون مجهورة – رخوة – مستفلة – منفتح

لفظ تنزيه لا يليق إلا بالله ، ولا يستعمل إلا مع الله ، ومما يلحظ أن حروفه بين الهمس والجهر ، وهو ما قصد من معنى اللفظ فيجب تنزيه الله تعالى سرا وعلنا ، همسا وجهرا ، وهى أيضا بين الرخاوة والشدة ، فيجب أن نسبحه سبحانه فى الرخاء والشدة ، ونعرفه فى كل وقت حتى يجبرنا فى كل وقت ، وحروفه كلها مستفلة حتى يقصد الإنسان الخضوع لله والخشوع له أثناء التسبيح فلا يكون مستعليا مع الله وإنما خاشعا طائعا خاضعا ، خافض الجناح كما الحروف منخفضة ، هذه مكونات اللفظ الطبيعية.

أما عند النطق والسماع فإنها أيضا يصحبها قلقلة ، والقلقلة هى التحريك والاضطراب ، والحق أن المؤمن التقي إذا ذكر الله وجل قلبه كما قال تعالى" ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ "[1] "

[1] الأنفال، من الآية ٢,

وفي قوله تعالى (بهتان عظيم) إظهار حلقي طابق المعنى، وناسب المقصد، فالبهتان هنا واضح ظاهر، لذا أتى الإظهار ملائما للمعنى المراد.

وفي قوله (لمثله أبد) مد جائز منفصل، يعطينا مسافة واضحة ، وكأن المد ينطق قائلا : اجعلوا بينكم وبين نشر الفاحشة مسافة بعيدة، حتى تسلموا من العذاب والأذى.

وفي قوله تعالى: (والله عليم حكيم) ورد الإظهار هنا لظهور حالكم لله، وبيانه له، وعلمه بكم، فأمركم لا يخفى عليه منه شيء، وهو حكيم لما يدبر لكم وبكم وفيكم.

المبحث الخامس

جرس الكلمات نوع من بلاغة الآيات

قال تعالى:

﴿) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) ﴾

ثم هدّد سبحانه القاذفين ، ومن أراد أن يتسامع الناس بعيوب المؤمنين ، وذنوبهم فقال : { إِنَّ الذين يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفاحشة فِى الذين ءامَنُواْ } أي : يحبون أن تفشو الفاحشة وتنتشر ، من قولهم : شاع الشيء يشيع شيوعاً ، وشيعاً ، وشيعاناً : إذا ظهر وانتشر ، والمراد بالذين آمنوا المحصنون العفيفون ، أو كلّ من اتصف بصفة الإيمان ، والفاحشة هي : فاحشة الزنا ، أو القول السيء { لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدنيا } بإقامة الحدّ عليهم { والآخرة } بعذاب النار { والله يَعْلَمُ } جميع المعلومات { وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } إلاّ ما علمكم به وكشفه لكم ، ومن جملة ما يعلمه الله عظم ذنب القذف ، وعقوبة فاعله { وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ } هو تكرير لما تقدّم تذكيراً للمنة منه سبحانه على عباده بترك المعالجة لهم { وَأَنَّ الله رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } ومن رأفته بعباده أن لا يعاجلهم بذنوبهم ، ومن رحمته لهم أن يتقدّم إليهم بمثل هذا الإعذار ، والإنذار ، وجملة : { وَأَنَّ الله رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ } معطوفة على فضل الله ، وجواب « لولا » محذوف لدلالة ما قبله عليه أي : لعاجلكم بالعقوبة[1] .

ومن البلاغة في الآيات

التعبير بالفعل المضارع (يحبون)، (تشيع) لدلالته على معنى التجدد والحدوث، فمن توعدهم الله بالعذاب هم من يريدون إقامة الفتنة، وإشاعة الفاحشة ، وتجديدها بين المسلمين.

وله دلالته أيضا فى (والله يعلم)، (أنتم لا تعلمون) مما يدل على علم الله الذى لا ينفد، وأن قصورهم بالعلم أيضا لا ينفد، فقد أثبت دوام العلم لله، وأثبت لهم الجهل والقصور.

ومن البلاغة الصوتية

التعبير بلفظ (تشيع) دون غيره مثل(تحصل أو تحدث)، له دلالة، فللفظ جرس دون غيره، حيث ناسب التفشى الحاصل في الشين، كما مثل انتشار الفاحشة وشيوعها وذيوعها بينهم .

التعبير بلفظ (عذاب) له جرس قام بدلالته، فحروف العذاب كلها مستفلة، ينحط معها اللسان ولا يرتفع، كما العذاب استفال وانخفاض للمعذب، وانحطاط لشأنه، وتحقير له، مجهورة إذ النهاية عند الله علنية مجهورة على مرأى ومسمع، ومما يلحظ أن حروف العذاب تنوعت بين الشدة والرخاوة، فلم تأت على صفة واحدة مثل الجهر والاستفال، فأولها رخو، وختامها شديد ، وذلك لأن درجات العذاب متفاوتة ، وليس العذاب درجة

[1] فتح القدير للشوكاني ١٩٦/٥ .

واحدة، أما الجهر فالعذاب كله مجهور، وكله استفال وانحطاط ، كلها منفتحة لتناسب التجافي الحادث نطقا وفعلا .

وفي قوله تعالى(وأنتم لا تعلمون) أتى ب(أنتم) ولم يحذفها للتوكيد على عدم علمهم، كما أنها أثناء النطق الأدائي تشتمل على حكم الإخفاء لخفاء كثير من العلم علي النفس الإنسانية، والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله على ما أنعم، الحمد لله الأعز الأكرم، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد

فقد طفت في رحاب هذا النور الرباني، أقطف من روحانياته الطيبة ما شاء الله، ومن ثمار هذا البحث :

** بين البحث أن الصوت ترجمة الفكر، إذ يعبر عن مقصده وإرادته، وأن الأصوات لها إيحاءات تساعد على استجلاء معنى اللفظة، وأثرها في التركيبدون غيرها، وأثر ذلك على النص والمتلقي.

** أظهر البحث أن العلاقة وثيقة بين علم البلاغة وعلم الأصوات بأقسامه الثلاثة (علم الأصوات النطقي والسمعي والفيزيائي).

**كما أظهر سمو العلاقة بين علم البلاغة وعلم الأداء القرآني (علم التجويد)، وأن لكل حكم تجويدي أثر بلاغي يعود على المعني ، من ملاءمة ومناسبة وموافقة ومطابقة، فالأحكام تطابق المعاني وتوافقها، كما أن الأصوات تطابق المعاني وتناسبها.

**وضح البحث أن المقاصد قبلة المجتهدين، فإذا عرف المقصد هان الوصول إليه، وأن لكل صوت في القرآن معنى يقصده، ولكل حركة أو حكم تجويدي إشارة أو إيحاء ، سبيلهما التدبر والتفكر ، حتى نصل إلى مكنوناته الغالية، ولآلئه النفيسة، ومثل ذلك ما ورد مع (كبره) في قوله تعالى" ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾،

أما في لفظ " كبره " فقد بدأ اللفظ بالكاف الشديدة التى لا يمر معها نفس حتى تناسب الأمر وشدته ، وقد أتت مكسورة حتى توافق كسرة النفوس الطاهرة التى ارتابت فيها القلوب والأفئدة ، وقد توسط اللفظ حرف (الباء) الشديدة أيضا توافقا مع توالى الشدة ، ومن شدة التناسب أن الباء عند خروجها ينحط اللسان فلا ترتفع له قامة ، ويحبس النفس فلا يقدر على الخروج لشدتها، وتهتز لها الأوتار الصوتية جهرا ، إذا كان هذا حالها فى خروجها المعتاد ، فما بالك إذا لحقها اضطراب فقلقل ساكنها ، إنه وعيد شديد لا يدرى كنهه ، ويختم اللفظ بالراء المفخمة التى تحمل فى طياتها هى الأخرى معنى التكرير ، لتناسب تكرار الإفك على الألسنة وانتشاره وتنقله بينهم ، وقد ذاع أمره من تناقله وتكراره ، فناسب اللفظ المعنى ، وطابق المراد ، مما أكد جلل المصاب ، وعظم وقعه وسوء عاقبته.

** وختامـا : أن الله يجبـر عبـاده المتقـين الصـالحين إذا مـا شـابتهم شـائبة، أو أصـابتهم مصـيبة، فإنـه يكفلهـم بحمايتـه، ويرعاهم بعنايته، كما هو موقف السيدة عائشة رضي الله عنها، وقـد تخلـى عنهـا أهـل الأرض جميعـا، فلـم يتركهـا رب الأرض والسماء.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المراجع

**الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تج/محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

** إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى (١٣٥٦ هـ) ٢١٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٨ ،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م .

**إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز ،د. محمد إبراهيم شادي ٨٩، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة.

**الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (المتوفى : ٧٣٩هـ) ، (تح: د. عبدالقادر حسين)، مكتبة الآداب،ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م .

**التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت:١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر . تونس ،١٩٨٤م.

**تفسير ابن أبي حاتم ،لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ).

**تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] ،(تح: سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

**الجدول الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت : ١٣٧٦هـ)١٨/٢٣٤ ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق، ط٤ ، ١٤١٨ هـ ,

**دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى : ٤٧١هـ) ،٣١٦، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ٢٠٠٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

** ذوق التلاوة ببيان علاقة المعنى بإعجاز التلاوة لمحمد الرنتاوي،ط١ .

**صوتيات اللغة العربية د/ البسيوني عبدالعظيم البسيوني ، ط٢٠٠٣م ٢٠٠٤م.

**فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : ١٢٥٠هـ ،

**الفكر المقاصدي قواعده وفوائده لأحمد الريسوني ٣٥،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،١٩٩٩ ,

**لسان العرب لابن منظور

** مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي(ت٧١٠هـ)، تح/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

**من قضايا الأداء القرآني بين المتقدمين والمتأخرين، مخارج الحروف وصفاتها، دراسة في فكر العلامة محمد حسن جبل رحمه الله، تأليف حازم محمد سلام،٤٥، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٤٠هـ،٢٠١٩م.

** منهج السياق في فهم النص لعبد الرحمن بودرع ، ط١ ، وزارة الشئون الإسلامية ، قطر ، ٢٠٠٦ م .

**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تح/ عبد االرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥ م .